بادربعة ارجو نجاتي وانها • لاكرم مدخور لدي واعظم • شهادة اخلاصي وحبي محمدا
وحسن ظنوني ثم اني مسلم • وقال ابن جيش • قالوا تصبر على الدنيا الدنية او
كن عبدها واصطبر للذل واحتمل • لابد من احد الصبرين قلت نعم • الصبر عنها بعون الله اوفق لي
وقال ابن الشيخ • اطلب لنفسك فوزها وامرها • نظر الشفيق وخف عليها واتق
من ليس يرحم نفسه ويصدها • عما سيهلكها فليس بمشفق • وقال ابو محمد القرطبي
لعمرك ما الدنيا وسرعة سيرها • بسكانها الا طريق مجاز • حقيقتها ان المقام بغيرها
ولكنهم قد اولعوا بالمجاز • وقال التميمي • لله في الدنيا وفي اهلها
معميات قد فككناها • من شر نحن نمن طبعنا • نحب فيها المال والجاها
دعني من الناس ومن قولهم • فانما الناسك خلاها • اتقبل الدنيا على فاسك
الاوبا لرحب تلقاها • واعما يعرض عن وصلها • من صرفت عنه محياها
وقال ابو القاسم ابن بقي • الا انما الدنيا كراح عتيقة • اراد مديروها بها جلب الانس
فلما اداروها اثارت حقودهم • فعاد الذي راموا من الانس بالعكس • وقال ابو محمد عبد الله بن الصالل
الطليطلي ه • ابصر الدنيا فان ابصرتها شيا يدوم
فاغد منها في امان • ان يساعدك النعيم • واذا ابصرتها منك على كره يقيم
فاسل عنها واطرحها • وارتحل حيث تقيم • وقال ابن هشام القرطبي ه
وابي المدامة ما اريد بشربها • صلف الرقيع ولا انهماك اللاهي • لم يبق من عهد الشباب وطيبه
فتركتها للناس لا لله • وقال ابو محمد ابن السيد البطليوسي مما نسبه اليه في المغرب
اخو العلم حي خالد بعد موته • واوصاله تحت التراب رميم • وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى
يظن من الاحياء وهو عديم • وقال ابو الفضل بن شرف • لعمرك ما حصلت على خطير
من الدنيا ولا ادركت شيا • وها انا خارج منها سليبا • اقلب نادما كلتا يديا
وابكي ثم اعلم ان مبكا • ي لا يجدي فاسهر مقلتيا • ولم اجزع لهول الموت لكن
بكيت لقلة الباكي عليا • وان الدهر لم يعلم مكاني • ولا عرفت بنوه ما لديا
زمان سوف انشر فيه نشرا • اذا انا بالحمام طويت طيا • اسر باني ساعيش ميتا
به وسوني ان مت حيا • وقال الزاهد العارف بالله سيدي ابو العباس بن العريف نفعنا الله به
سلوا عن الشوق من اهوى فانهم • ادنى الى النفس من وهمي ومن نفسي • من رسولي الى قلبي ليسالهم
عن مشكل من سوال الصب ملتبس • حلوا فوادي فانداه ولو وطئوا • صخرا لجاد بماء منه منبجس
وفي اختياري لوا والوهم يجرحهم • فكيف تروا على اذكى من القبس • لانهضن الى حشري بحبهم
لا بارك الله فيمن خانهم ونسي • قلت وقد زرت قبره المعظم بمراكش سنة عشر والف وهو
ممن يتبرك به في تلك الديار ويستسقى به الغيث وهو من اهل المرية واحضره السلطان الى مراكش
فمات بها وله كرامات شهيرة ومقامات كبيرة نفعنا الله به واعلم ان اهل الاندلس كانوا في القديم
على مذهب الاوزاعي واهل الشام منذ اول الفتح ففي دولة الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل وهو
ثالث الولاة بالاندلس من الامويين انتقلت الفتوى الى راي مالك بن انس واهل المدينة فانتشر
علم مالك ورايه بقرطبة والاندلس جميعا بل والمغرب وذلك براي الحكم واختياره واختلفوا في السبب
المقتضي لذلك فذهب الجمهور الى ان سببه رحلة علماء الاندلس الى المدينة فلما رجعوا الى الاندلس وصفوا
فضل مالك وسعة علمه وجلالة قدره فاعظموه كما قدمناه وقيل ان الامام مالكا سال بعض الاندلسيين
عن سيرة ملك الاندلس فوصف له سيرته فاعجبت مالكا لكون سيرة بني العباس في ذلك لم تكن بمرضية
وكابد لما صنع ابو جعفر المنصور بالعلوية بالمدينة من الحبس والاهانة وغيرهما مما هو مشهود في كتب
التاريخ فقال الامام مالك رضي الله عنه لذلك المخبر نسال الله ان يزين حرمنا بملككم او كلاما هذا معناه
فنميت المسئلة الى ملك الاندلس مع ما علم من جلالة مالك ودينه فحمل الناس على مذهبه وترك مذهب
الاوزاعي وحكي ان القاضي الزاهد ابا اسحق ابراهيم بن عبد الله بن ابي يعقوب لما ندبه اهل الامر
لولاية القضاء بمدينة فاس استعفى فلم يقبل منه وخرج الى تلك الناحية وخرج الناس لوداعه فانشد
عليكم سلام الله اني راحل • وعيناي من خوف التفرق تدمع • فان نحن عشنا نجتمع بعدنا
وان نحن متنا فالقيامة تجمع • وانشد اصحابه رحمه الله تعالى ولا ادري هل هي له او لغيره
كنا نعظم بالآمال قدركم • حتى انقضت فتساوى عندنا الناس • لم تفضلوا بشي غير واحدة
في الرجا فاستوى بيننا الياس • وانشد ايضا • بلوتهم مذ كنت طفلا فلم اجد
كما اشتهي منهم صديقا وصاحبا • فصوبت رايي في فراري منهم • وشمرت اذيالي وامعنت هاربا
وانشد لغيره في الكتمان • اخفي الغرام فلا جوارحه • شعرت بذاك ولا امتناسله
كالسيف تصحبه الحمام ولم • يعلم بما حملت حمايله • وانشد
قد كنت ارضى في الشبيبة وانما • والموت ليس يمر لي في البال • والان شبت وصحتي موجودة
واري كان الموت في اذيالي • ولما انشد تاج الدين بن حمويه الرحبي الوافد على المغرب من المشرق
قول بعضهم • وان كان في ساعديه قصر • فلا تحقرن عدوا رماك

فان السيوف

فان السيوف تحز الرقاب • وتعجز عما تنال الابر • قال حسن جدا ولكن اسمع
ما قال شاعرنا الصقلي وانشد • اثرني لكشف الخطب والخطب مشكل • وكلني لليث الغاب وهو مصور
فقد تخفض الاسماء وهي سواكن • ويعمل في الفعل الصحيح ضمير • وتنبو الردينيات والطول وافر
ويبعد وقع السهم وهو قصير • وكان الوزير الكريم ابو محمد عبد الرحمن بن مالك المعافري
احد وزراء الاندلس كثير الصنايع جزل المواهب عظيم المكارم على سنن عظماء الملوك واخلاق السادة
لم يعهد مثله في رجال الاندلس ذاكرا للفقه والحديث بارعا في الآداب شاعرا مجيدا وكاتبا بليغا
كثير الخدم والاهل ومن اثاره الحمام بحوفي الجامع الاعظم من غرناطة وزاد في صحن الجامع من صحنه وعوض
ارجل قسيه اعلاق الرخام وجلب الروس والموايد من قرطبة وفرش صحنه بكدان الكحل ووجهه اميره
علي بن يوسف بن تاشفين الى المرطوشة برسم بنائها فلما حلها سال قاضيها فكتب له جملة من اهلها ممن
ضعفت حاله وقل تقرره من ذوي البيوتات فاستعمل امنا ووسع ارزاقهم حتى كمل له ما اراد من عمله
ومن عجز ان يستعمله وصله من ماله فنصدر عنها وقد انعش خلقا رضي الله عنه ورحمه ومن شعره في مجلس طرب
سماعه وبسطه احتشاد الانس فيه واجتماعه فقال • لا تلمني اذا طربت لشجو
يبعث الانس فالكريم طروب • ليس شق الجيوب حقا علينا • انما الحق ان تشق القلوب
وخطف غلام من غلمانه نوارة ومد بها يده الى ابي نصر الفتح بن عبيد الله فقال ابو نصر ه
وبدر بدا والطرف مطلع حسنه • وفي كفه من رايق النور كوكب • يروح لتعذيب النفوس ويغتدي
ويطلع في افق الكمال ويغرب • فقال ابو محمد بن مالك • ويحسد منه الغصن اي مهفهف
يجي على مثل الكثيب ويذهب • وقد سبق هذا وكتب الى الفتح من غير تشوق يا سيدي جرت الايام
بفراقك • وكان الله جارك في انطلاقك • فغيرك روع بالظعن • واوقد للوداع جاحم الشجن
فانك من ابناء هذا الزمن • خليفة الخضر لا يستقر على وطن • كانك والله يختار لك ما تاتيه وما
تدعه • موكل بالفضاء تذرعه • فحسب من نوى بعثرتك الاستمتاع • ان يعدل من العوادي السريعة
الارتجاع • فلا ياسف على قلة الثوي • وينشد • وفارقت حتى ما ابالي من اهوي • ومات رحمه الله
بغرناطة سنة ٥١٨ وحضر جنازته الخاصة والعامة • وهو من محاسن الاندلس رحمه الله تعالى ه
ومن نوادر الاتفاق ان جارية مشت بين يدي المعتمد وعليها قميص لا يكاد يفرق بينه وبين جسمها
ودوايبها تحتمع اثار مشيها فسكب عليها ماء ورد كان بين يديه وقال • علقت جايلة الوشاح عزيزة
تختال بين اسنة وبواتر • وقال لبعض الخدم سر الى ابي الوليد البطليوسي المشهور بالنحلي
وخذه باجازة هذا البيت ولا تفارقه حتى يفرغ منه فاجاب النحلي لاول وقوع الرقعة بين يديه
راقت محاسنها ورق اديمها • فتكاد تبصر باطنا من ظاهر • وتمايلت كالغصن في دعص النقا
والتف في ورق الشباب الناضر • يندى بماء الورد مسبل شعرها • كالطل يسقط من جناح الطاير
تزهي بروقتها وعز جمالها • زهو المويد بالثنا العاطر • ملك تضاءلت الملوك لقدره
وعنا له صرف الزمان الجاير • واذا لمحت جبينه ويمينه • ابصرت بدرا فوق بحر زاخر
فلما قراها المعتمد استحضره وقال له احسنت او معنا كنت فقال له يا قاتل المحل اما تلوت واوحى ربك الى
النحل واصبح المعتمد يوما ثملا فدخل الحمام وامر ان يدخل النحلي معه فجاء وقعد في مسلخ الحمام حتى يبتا
عليه فجعل المعتمد يعبق في الحمام وهو خال وقد بقيت في راسه بقية من السكر وجعل كلما سمع دوي الصوت
يقول الجوز اللوز الفستق ومر على هذا ساعة الى ان تذكر النحلي فصادمه فلما دخل قال له من وقت انت
هنا قال من اول ما دبت مولانا الفواكه في النصبه فغشي عليه من الضحك وامر له باحسان والنصبة مائدة
يصفون فيها هذه الاصناف ولما استحسن المعتمد قول المتنبي • اذا ظفرت منك العيون بنظرة
الى اخره قال ابن وهبون بديهة • وقالوا اجاد ابا الحسين الى اخره • وقد تقدم ذكرها فامر له بمائتي دينار
ولما قال ابن وهبون المذكور • غاص الوفاء فما تلقاه في رجل • ولا يمر لمخلوق على بال
فصار عندهم عنقاء مغربة • او مثل ما حدثوا عن الف مثقال • فقال له المعتمد عنقاء مغربة
والف مثقال يا عبد الجليل عندك سوا فقال نعم قال قد امرنا لك بالف دينار وبالف دينار اخرى تنفقها
وذكر القرطبي صاحب التذكرة في كتابه قمع الحرص بالزهد والقناعة ما صورته روينا ان الامام
ابا عمر بن عبد البر رضي الله عنه حين بلغه وهو بشاطبة ان اقواما عابوه باكل طعام السلطان وقبول جوايزه قال
قل لمن ينكر اكلي • لطعام الامراء • انت من جهلك هذا • في محل السفهاء
لان الاقتداء بالصالحين • من الصحابة والتابعين • وايمة الفتوى من المسلمين • من السلف الماضين • هو ملاك
الدين • فقد كان زيد بن ثابت وكان من الراسخين في العلم يقبل جوايز معاوية وابنه يزيد وكان ابن عمر
رضي الله عنهما مع ورعه وفضله يقبل هدايا صهره المختار بن ابي عبيد وياكل طعامه ويقبل جوايزه وقال عبد الله
ابن مسعود وكان قد ساله رجل فقال ان لي جارا يعمل بالربا ولا يجتنب في مكسبه الحرام يدعوني الى طعامه
افاجيبه قال نعم لك المهنا وعليه الماثم ما لم تعلم الشي بعينه حراما وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه حين
سيل عن جوايز السلاطين لحم ظبي ذكي وكان الشعبي وهو من كبار التابعين وعلمايهم يودب بني عبد الملك
بن مروان ويقبل جوايزه وياكل طعامه وكان ابراهيم النخعي وساير علماء الكوفة والحسن البصري مع زهده
وورعه وساير علماء البصرة ابو سلمة بن عبد الرحمن وابان بن عثمان والفقهاء السبعة بالمدينة حاشى سعيد بن

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)